من غشّنا فهو منّا

انتشرت مؤخّرًا ظاهرة الغش في امتحانات البجروت والتوجيهي. ظاهرة غش علنيّة، والأدهى من ذلك أنها لاقت تفهّمًا واستحسانًا في بعض الأوساط وخاصة الشّباب الذين يرون بذلك شجبًا واستنكارًا لمنهاج التوجيهي العقيم.

أما الآخرون، وهم الأغلبية، فقد استنكروا هذه الظاهرة وادّعوا أنها تزعزع أركان مجتمعنا العربي وتنشر ظاهرة الفساد بين الشباب والجيل الصّاعد.

تحدثت سابقًا في إحدى مقالاتي عن الشّخصيّة "الفهلويّة"، وذكرت أنّ هذا النمط من الشّخصيات سائد في مجتمعنا العربي وهو في الغالب يؤدي إلى التّخلّف الاجتماعي والابتعاد عن التّفكير العلمي وهو السّبب في الهزائم التي مُنِيَ بها العرب على جميع الأصعدة.

من سمات هذه الشّخصيّة البحث عن أقصر طرق النّجاح، لا بل التّحايل من أجل الوصول لهدف ما. هكذا يتصرف الطّالب العربي في المدرسة وفي الجامعة فهو لا يجدّ ولا يجتهد ويتّكئ على جهود الغير.

وهذه الظّاهرة منتشرة وبكثرة اليوم خاصّة عن طريق استخدام الانترنت في المجتمعات الأكاديميّة العربيّة مثل تجارة الأبحاث والوظائف التي أصبحت تجارة رائجة بين الطّلاب الجامعيين، فاليوم لست بحاجة أن تجلس في المكتبة وتتعب عينيك وتوجع ظهرك، فهناك من يقوم بذلك بدلًا منك مقابل أجرٍ تتفقّان عليه. أمّا

إذا كنت فقيرًا فإنك تكتفي ببحث تجده في الانترنت أو من زميل لك أو قريب سبق ودرس هذا المساق، آملاً أن تكون ذاكرة المحاضر ضعيفة فلا يتذكر البحث، أو أن يكون من المحاضرين الكسالى الذين لا يفحصون أبحاث طلّابهم ويضعون العلامات بصورة عشوائيّة. تخيّلوا أي معلّم أو مهندس هذا سيكون في المستقبل، وأيّ مدير سينشأ وأي جيل سيتربى ويترعرع عند هذا الطّاقم المُدمج بالشّهادات، الخالي من القدرات، والمواهب، والمسؤوليّة، والقيم.

ما علينا! لكن السؤال الذي يطرح نفسه هُنا، هل مجتمعنا هو مجتمع مبني على الغش والخداع؟ هل نحن مجتمع شعارات فقط بدون تطبيق؟ هل قيمنا هي عبارة عن "توصيّة" فقط؟

لا أخفي عليكم أنني ولأول مرة أكتب وأنا متخوّف ممّا سأقوله. لست أعني بذلك خوفي من شخص أو أشخاص، إنّما الخوف ممّا آلت إليه حالنا. يُقال أنّ المعرفة قوّة، ولكنني أشعر في هذا الموقف، أنّ المعرفة ضعف وتخاذل وخيبة أمل.

أشعر أننا نربّي أبناءنا على الغش والخداع بدون أن نشعر بذلك، قد يكون ذلك بدون قصد، أو من منطلق محبّتنا لأبنائنا وبناتنا. لا يمرّ يوم بدون أن أتلقّى مُهاتفة من شخص يطلب منّي مساعدته في إيجاد عمل في مجال التّعليم. قد يرى البعض في ذلك مجرّد طلب مساعدة أو معروف، ولكن إذا تمعّنا في ذلك فإنّ الأمر يعني ترجيح الكفة لصالح شخص دون شخص آخر أو على حساب شخص آخر ينتظر دوره منذ زمن بعيد لكي يتوظّف.

انظروا إلى حياتنا اليوميّة: أصحاب المهن يغشّون، معظم مواعيدهم أشبه بمواعيد "عرقوب". العلاقات بين النّاس مبنيّة على المصالح، عمق صداقاتنا تُقاس بعمق مصلحتنا. حتى الحب والزّواج أصبح مبنيًّا على المصلحة والاستفادة.

نحن ننظر إلى الواسطة أو المساعدة على أنّها شيء جيّد، ولكنّها بالأساس عبارة عن فساد لكننا لا نستطيع القضاء عليها، لأنّ القضاء عليها يعني القضاء على الكثير من العلاقات الاجتماعيّة في مجتمعنا المبني على المصلحة المشتركة أو كما يقول المثل الشّعبي: "حِكّيللي تا أحِكّللك".

لنعد إلى غش الطلّاب في الامتحانات. ماذا نتوقّع من طالب تعوّد طوال حياته على الغش في الامتحان؟ ألم نعوّدهم على ذلك عندما كان المعلّمون يساعدون الطّلاب في الامتحانات الوزاريّة؟ ألم نشعر حينها أننا المُمتَحنون وليس الطّلاب؟! ماذا نريد من طلّابنا إذا كان المعلّمون هم من يدخل إلى قاعات الامتحانات ويقومون بحل الأسئلة للطّلاب كي تحصل المدرسة على أعلى النّتائج؟ ألم نفعل ذلك لكي تبقى المدرسة في الصّدارة بين المدارس الأخرى ضاربين القيم والأخلاق والنّزاهة عرض الحائط؟ ألم يرى البعض منّا أنّ مساعدة طلّابنا في الامتحانات هي عبارة عن "مهمّة وطنيّة" هدفها إدخال أكبر عدد من طلابنا إلى الجامعات، وبذلك نساعدهم على العمل والعيش "بشرف" في مجتمع نحن فيه أقليّة؟ ألم نكن، كطلاب، نتباهى بالغش دون ان يتم القبض علينا؟ ألم نكن نُدَرّج المراقبين من معلمينا كلٌ حسب درجة صعوبة مراقبته ونتمنى الا يكون من نصيبنا؟ ألم نخبر طلابنا ان النجاح هو

الهدف بغض النظر عن الوسيلة؟ ألم نعدهم بالهدايا والجوائز اذا نجحوا، وهددناهم بالخزي والعار اذا فشلوا ؟

هناك الكثير الكثير من الأمثلة التي لا تُحصى والتي تدعونا إلى إعادة فحص قيمنا وأخلاقنا من جديد. تعالوا لا نستغرب حدوث هذه الظواهر التي بدأت تطفو على السّطح لأنها كانت مخفيّة نتيجة خوفنا، نحن في الجيل القديم، والتي بدأت تظهر جَليًّا على يد جيل لا يعرف معاني الخوف والمجاملات ولا حتى الاحترام.

وهل يمكن أن تخلو مدونتنا من الطرفة؟

حدثني أحد المراقبين في الامتحانات قال: كنت أراقب في لجنة مادة التربية الإسلامية، وتصادف وجود أحد الممتحنين وهو أخٌ لصديق عزيز لي، وقام صديقي بالتوصية عليه طالبًا مني مساعدته عند الحاجة.

أنهى جميع الطلاب الامتحان وخرجوا من القاعة إلّا هذا الطالب، حيث استعصت عليه الاجابة عن سؤال نصّه: أُذكرْ ثلاثة أنبياء من أولي العزم من الرسل؟

فاقتربت منه وحاولت مساعدته، رغم الإحراج ووجود باقي المراقبين، ووضعت إصبعي على مكان الإجابة وقلت له اكتب أسماء أخوالك.

وكان عنده من الأخوال: إبراهيم وموسى وعيسى.

وعندها كتب الطالب: خالي إبراهيم وخالي موسى وخالي عيسى.

يقال أنَّ الأستاذ قد ترك التدريس وقام بفتح بسطة جرابات وملابس على الدوّار ...

دمتم بخير

أ.أيمن جبارة